ملخص كتاب

مديرية إس: السي آي إيه وحروب امريكا السرية في أفغانستان وباكستان، 2001-2016

ستيف كول

شبكة رؤية الإخبارية

في عام 1989، انتقلت إلى مدينة "نيودلهي" بعد أن أصبحت مراسلا لصحيفة واشنطن بوست لشؤون جنوب آسيا. كان عمري حينها 30 عاما، وكنت مسؤولاً عن كتابة تقارير إخبارية عن الهند وباكستان وأفغانستان وبنغلاديش وسريلانكا. ولفترة دامت ثلاث سنوات،

اتنقّلت من عاصمة إلى عاصمة أخرى، ومن حرب عصابات إلى حرب عصابات أخري، ومن انقلاب لآخر، ومن ثورة شعبية إلى ثورة شعبية أخرى. لقد كان عملا مثيرا ومؤثرا.

في أفغانستان، كانت آخر الوحدات العسكرية السوفيتية قد قد غادرت مؤخرا هذا البلد. وقد أدّت الحرب التي اندلعت بسبب الغزو السوفيتي لمقتل ما يقدر باثنين مليون أفغاني، أو ما يقارب عشرة بالمائة من مجموع السكان. وقد تسببت الألغام الأرضية والقصف العشوائي في تشويه مئات آلاف آخرين. كما أصبح نحو خمسة ملايين أفغاني لاجئين. لقد عمد السوفيت والأفغان الشيوعيون إلى القضاء على النخبة الأفغانية المتعلمة، أو إلى إعدام وتهجير القادة التقليدين.

ترك السوفيت في كابل بعد انسحابهم بضع آلاف من ضباط جهاز "كي جي بي" والمستشارين العسكريين لدعم النظام بقيادة "محمد نجيب الله"، وهو طبيب أصبح لاحقا رئيسا للشرطة السرية. سيطرت قوات "نجيب الله" على العاصمة الأفغانية وعدد من المدن، في حين سيطر المجاهدين على الريف. وقد كان هؤلاء المجاهدون المعارضون للشيوعيين مدعومين من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي أي أيه) والمخابرات الباكستانية والسعودية. وقد وصلت الحرب حينها لحالة من الجمود بين الطرفين.

غطيت الحرب الأفغانية من كلا الطرفين. إذ سافرت بصورة دورية إلى كابل لإجراء مقابلة مع "نجيب الله" ومساعديه، أو للسفر في أنحاء البلاد برفقة الجنرالات الأفغان الشيوعيين. وانطلاقا من باكستان، ذهبت إلى الحدود لمشاهدة المناطق الريفية التي يسيطر عليها المتمردون الإسلاميون. كان العمل حينها آمنا، لكن المراسلين وعمال الإغاثة الغربيين كانوا يتوخون الحذر من جماعات المتطوعين العرب الإسلاميين المحيطين بالمجاهدين الأفغان. إذ نفذ هؤلاء المتشددون العرب أحيانا إعدامات بحق غير المؤمنين الذين قابلوهم. حينها لم نكن نعرف هؤلاء باسم القاعدة.

لقد قدّمت "سي أي أيه" مساعداتها للمتمردين الأفغان عبر وكالة الاستخبارات الرئيسية في باكستان (المعروفة اختصارا باسم "آي أس آي"). وبحلول عام 1989، أصبحت تلك الوكالة قوة متنفذة ومخرّبة داخل باكستان. وكانت بمثابة دولة عميقة تتلاعب بالوضع السياسي لحساب الجيش، وقد تزايد دعم تلك الوكالة للجماعات الإسلامية المسلحة، بمن فيها العرب المتطوعون الذين تعلمنا أن نأخذ حذرنا منهم. لقد كتبت لحساب الواشنطن بوست حول طريقة عمل برنامج السي أي ايه لتسليح المتمردين الأفغان، وكيف أدّى عمل السي أي أيه السري لتقوية الفصائل الأكثر تشددا والخاضعة بشكل كبير لسيطرة وكالة المخابرات الباكستانية (آي أس آي).

في ديسمبر 1991، انهار الاتحاد السوفيتي. وقد وصل تأثير الاضطرابات السياسية في موسكو ووسط آسيا إلى أفغانستان. إذ بدا أن المساعدات المالية والغذائية والعسكرية السوفيتية إلى حكومة "نجيب الله" قد انتهت. وهذا بدوره غيّر موازين القوى في الحرب الأهلية. بنهاية إبريل 1992، بدا أن سقوط مدينة كابول في أيدي الفصائل الإسلامية المدعومة من جهاز الاستتخبارات الباكستاني أمرا وشيكا. ولهذا سافرت إلى هناك. تدفق المجاهدون إلى العاصمة من دون أي مقاومة. وفي محاولة من سكان المدينة لتفادي حدوث مجزرة، خرج السكان لتحية المتمردين ذوي اللحى الطويلة بالورود. حاول نجيب الله الهرب، لكن جرى اعتقاله في المطار.

بعد ذلك، انتقلت إلى لندن وأصبحت مراسلا دوليا استقصائيا لحساب الواشنطن بوست. كنت موجودا هناك في فبراير 1993 عندما فجّرت مجموعة من الجهاديين، الذين كان لبعضهم علاقة بالحرب الأفغانية، شاحنة مفخخة أسفل مركز التجارة العالمي، ما أدى لمقتل ستة أشخاص وأصابة الكثيرين. طلب مني محررو الصحيفة إجراء تحقيق بشأن شبكات المتشددين الإسلاميين والممولين الذين يُعتقد أن لهم علاقة بالحادث. لقد عملت في هذا التحقيق مع مراسل آخر اسمه "ستيف ليفين". وقد سمعنا حينها عن ثري سعودي موجود في المنفى في السودان اسمه "أسامة بن لادن"، الذي قالت الأخبار إنه يموّل بعض الجماعات التي نحقق بشأنها. سافر"ستيف" إلى السودان لإجراء مقابلة معه.

قال بعد حرّاس بن لادن الشخصيين إنه غير متوفر للمقابلة. وبعد التحدث مع بعض مساعدي بن لادن والكثير من مؤيديه في الحركة الجهادية في لندن والبلقان والشرق الأوسط، كتبنا في صحيفتنا "يمكن القول إن دار الضيافة المتعدد الطوابق الذي يقيم فيه بن لادن في الخرطوم، ليس مقرّا مركزيا لممارسة النفوذ، بقدر ما هو مركز جذب يجد فيه المتشددون الإسلاميون المسلحون ملاذا آمنا أو مصدرا للدعم." ونتيجة لتصاعد شهرة أسامة بن لادن، ضغطت الولايات المتحدة على السودان لطرده من الخرطوم. ذهب بن لادن لأفغانستان في صيف 1996، وأعلن الحرب على الولايات المتحدة، وقد وجد هناك ملاذا آمنا عند حركة طالبان.

بحلول عام 2001، أصبحت مديرا للتحرير في صحيفة الواشنطن بوست.

في ربيع ذلك العام غطت صحيفتنا المحاكمة التي جرت في نيويورك للمتآمرين الجهاديين الذين شاركوا في الهجمات الإرهابية ضد السفارات الأمريكية في إفريقيا في أغسطس 1998. ساد رأي في واشنطن حينها مفاده أن القاعدة كانت معزولة بعيدا في أفغانستان، وأنها من المرجح أن تستمر في تنفيذ هجمات في الخارج. كان هناك اعتقاد بان القاعدة تمثل إزعاجًا خطيرا، لكنها لم تمثل تهديدا رئيسيا على الأراضي والأمن الأمريكي.

في صباح الحادي عشر من سبتمبر 2001، كنت في مكتبي المنزلي في ماريلاند، وكنت أكتب ملاحظات لكتاب كنت أفكر في تأليفه بشأن الإبادة في إفريقيا. حينها رأيت التقارير الأولى على شاشة محطة "سي أن أن" حول اصطدام طائرة بالبرج الشمالي في مركز التجارة العالمي. بعد ذلك جمعت مفاتيحي والمواد المتعلقة بعملي بسرعة من أجل الذهاب لغرفة الأخبار. لم أكد أخرج من باب المنزل حتى نادتني زوجتي وهي تشاهد طائرة "يونيتيد أيرلينز" رقم 175 وهي تصطدم بالبرج الجنوبي. حدقنا أنا وزوجتي في المشهد المرعب وقلت لنفسي "أوه! هذا من فعل بن لادن".

بعد مرور ستة أسابيع، ذهبت إلى مرآب منزلي، وبحثت عن تسجيلات قديمة لمقابلات مع ضباط جهاز الاستخبارت الباكستاني (آي أس آي) في بداية التسعينيات. وقد عثرت عليها. كانت تلك التسجيلات بداية لبحث أجريته لكتاب صدر لاحقا باسم (حروب الأشباح: التاريخ السري للسي أي أيه وأفغانستان وبن لادن، من الغزو السوفيتي حتى العاشر من سبتمبر 2001). بعد ذلك سافرت مرة أخرى إلى أفغانستان وباكستان لإجراء بعض الأبحاث. وقد صدر ذلك الكتاب عام 2004.

في ذلك الوقت، بدت أفغانستان وباكستان مستقرتين وهادئتين نسبيا. وخلال السنوات العديدة اللاحقة، نشطت حركتا طالبان والقاعدة، ما أدى لتعرّض المدنيين الأفغان والباكستانيين للمزيد من البؤس وانعدام الأمن. لقد بدا واضحا أن جهاز المخابرات الباكستاني يتدخل، مجددا، بصورة سرية في أفغانستان، مستغلا خطوط التماس في ذلك البلد. عملت إدارتا بوش وأوباما على زيادة جهود أمريكا لمكافحة طالبان وهزيمة تنظيم القاعدة. في نهاية المطاف، تطوع مئات آلاف الأمريكيين لخدمة في أفغانستان بعد عام 2001، ليعملوا كجنود ودبلوماسيين أو عمال أغاثة. وقد قُتل ما يزيد على ألفي جندي أمريكي إلى جانب مئات من المتعاقدين، كما أُصيب أكثر من عشرين ألف جندي. لقد تساءل الكثير من الأمريكيين العائدين من أفغانستان عما إذ كانت خدمتهم في ذلك البلد قد أتت بفائدة، كما تساءل هؤلاء عن سبب فشل الحرب الأمريكية الخاطفة والناجحة ظاهريا في عام 2001، في القضاء نهائيا على طالبان والقاعدة.

يهدف كتاب (مديرية إس: السي آي إيه وحروب أميركا السرية في أفغانستان وباكستان، 2001-2016) للإجابة على تلك الأسئلة بمقدار ما تسمح به الأدلة. إن هذا الكتاب هو جزء ثانٍ للتاريخ الصحفي الذي ورد في كتاب (حروب الأشباح) وهو يبدأ من حيث أنتهى الكتاب الأخير، أي من العاشر من سبتمبر 2001.

يحاول كتاب "مديرية أس" أن يقدم تاريخا دقيقا موثوقا حول كيف أن وكالة السي أي ايه وجهاز الاستخبارات الباكستاني والمخابرات الأفغانية أثرت في ظهور حرب جديدة في أفغانستان عقب سقوط حكم طالبان، وكيف أدّى ذلك لإعادة إحياء القاعدة والشبكات الإرهابية الحليفة، فضلا عن ظهور أفرع تنظيم داعش. يحاول الكتاب أيضا الربط بين فشل السياسات الأمريكية والباكستانية والأفغانية واستمرار الإرهاب الجهادي حول العالم.

بعد عام 2008، شنت الولايات المتحدة وحلفاؤها في الناتو حربا تقليدية علنية واسعة النطاق ضد طالبان، وفي الوقت ذاته، شنت تلك القوات حملة سرية عبر الطائرات المسيّرة في الأغلب. يمكن لتلك الحملة السرية أن تشكّل موضوعا لكتاب آخر منفصل (وقد كانت بالفعل موضوعا لعدد من الكتب الممتازة مثل كتاب Little America ل "راجيف تشاندراسيكاران"، وكتاب Obama's Wars للكاتب "بوب ودورد"، وكتاب the Way of the Knife للكاتب "مارك مازيتي") في كتاب "مديرية أس"، حاولتُ أن أقدم أفكارا جديدة متعمقة بشأن تلك الحرب، لكنني لم أعد سرد تلك الحرب بصورة كاملة،

وركزت بدلاً من ذلك على قضية لم يتم التطرق إليها بالتفصيل في السابق، وهي مسار عملية اتخاذ القرار داخل وكالة سي أي أيه، وجهاز الاستخبارات الباكستاني، ومديرية الأمن الوطني الأفغانية. لقد كان عليّ ان أجد طريقة لاستيعاب وليس اجترار ما ورد في عدد كبير من التقارير الصحفية الممتازة التي أنتجها مراسلون آخرون بشأن أفغانستان وباكستان منذ عام 2001. مع ذلك ركّزت في كتاب "مديرية أس" على تقاريري الخاصة ومئات المقابلات التي أجريتها في العقد الأخير، بالإضافة إلى استعانتي ببرقيات تابعة لوزارة الخارجية نشرها موقع ويكيليكس.

بالنسبة للعديد من الأمريكيين والأوربيين الذين عاشوا وعملوا في أفغانستان وباكستان قبل وبعد عام 2001، من المحبط سماع خطاب في بلدانهم يقول إن أفغانستان وباكستان هما مسرحان لقبائل متصارعة "وصراعات بلا نهاية". إذ أن السجلات التاريخية تدحض هذه الأفكار المسبقة. كانت أفغانستان بعد الاستقلال دولة فقيرة لكن مسالمة ومستقرة، ولم تعاني حينها من التشدد العنيف، واستمر ذلك الوضع لعقود عديدة في القرن العشرين حتى تاريخ الغزو السوفيتي عام 1979. إن الحرب الاهلية المستمرة في هذا البلد منذ عقود، كانت تغذيها باستمرار قوى خارجية، من بينها باكستان بشكل رئيسي، فضلا عن قوى خارجية أخرى مثل الولايات المتحدة وأوربا اللتين اعادتا تشكيل أفغانستان عبر تقديم مليارات الدولارات في شكل مساعدات إنسانية وفي مجال البنى التحتية، لكن أوربا وأمريكا ساهتما في الوقت ذاته في إذكاء العنف والفساد وعدم الاستقرار هناك. أما بالنسبة لباكستان، فبالرغم من اختلالها الوظيفي، والتشدد الذي ترعاه الدولة الباكستانية، وعدم المساواة الاقتصادية الواضحة، تظل تلك الدولة قادرة على تحديث نفسها بفضل طبقتها المتوسطة ومغتربيها الذين يتمتعون بموهبة مذهلة. لو لم يسئ الجيش وجهاز المخابرات الباكستانيان حكم باكستان، بالتعاون مع السياسيين الفاسدين التابعين لهما، لكان بمقدور هذا البلد منافسة الهند في النهوض بمستوى سكانه والمساهمة بشكل إيجابي في النظام الدولي.

هذه هي قصة كتاب "مديرية أس"

كان هدف الولايات المتحدة الرئيسي منذ الأيام الأولى لهجمات سبتمبر هو تدمير القاعدة. وبعد جهد استمر لعقد من الزمان، ظلت القاعدة نشطة وفتاكة وقادرة على التأقلم. وقد

لقى أسامة بن لادن والعديد من مساعديه السابقين حتفهم، في حين تراجعت قدرة الفرع الأصلي للقاعدة في باكستان وأفغانستان على شن هجمات معقدة في أوربا وأمريكا تراجعا كبيرا. لكن نائب بن لادن وخليفته "أيمن الظواهري" ظل طليقا، ويُقال أنه مختبئ في باكستان. وقد شنّت أفرع تنظيم القاعدة الجديدة التي تشكّلت في باكستان هجمات جيدة التنظيم ضد الهند وأماكن أخرى في جنوب آسيا. أعلنت القاعدة في شبه القارة الهندية مسؤوليتها عن قتل أربعة كتّاب بنغلاديشيين من ذوي الفكر الحر، من بينهم "أفجيت روي"، وهو مواطن أمريكي. كما عادت بعض خلايا القاعدة إلى أفغانستان مع تدهور الوضع الأمني هناك. إن هدف بوش الأوسع المعلن في عام 2001 والمتمثل في هزيمة القاعدة وحلفائها العقائديين حول العالم، ومكافحة التهديد الإرهابي بشكل عام، أصبح اليوم في حالة مزرية. إذ أن فرع القاعدة في العراق، والذي كان هدفه التصدي للغزو الأمريكي في هذا البلد، تحوّل ليصبح تنظيم داعش، وقد جنّد ذلك التنظيم عشرات آلاف المتطوعين في سوريا والعراق، وسيطر على أراضٍ في ليبيا وأفغانستان. وقد قتل أعضاء هذا التنظيم مئات المدنيين في فرنسا وبلجيكا وألمانيا وأماكن أخرى.

حاولت الولايات المتحدة تحقيق الاستقرار في أفغانستان وتطويرها، لكي تمنع تحولها إلى ملاذ للإرهابيين مرة أخرى. بالنسبة للكثير من الأفغان، فقد تحسنت حياتهم بفضل مليات الدولارات التي تدفقت من أمريكا والعواصم الأوربية واليابان ودول الخليج. لكن تلك المساعدات لم تتم إدارتها بشكل جيد، وتعرضت للنهب من قِبل النخب الأفغانية الفاسدة.

شبكة رؤية الإخبارية

لقد فشلت أمريكا في تحقيق أهدافها في أفغانستان وذلك لعدة أسباب: ضعف الاستثمار في مجالات التنمية والأمن فور سقوط حكم طالبان، وتبديد الموارد، والاستفزازات الناتجة عن الغزو الأمريكي للعراق، وانتشار الفساد بسبب التعاقدات التي أبرمها حلف الناتو، والصفقات التي أجرتها "سي أي أيه" مع رجال أقوياء في أفغانستان، بالإضافة إلى الغطرسة العسكرية الموجودة في أعلى المستويات في البنتاغون. غير أن فشل أمريكا في حل لغز وكالة المخابرات الباكستانية "أي أس أي" وفي منع تدخلها السري في أفغانستان كان في نهاية المطاف هو الفشل الاستراتيجي الأكبر في الحرب الأمريكية.

في خريف عام 2014، أنهى الجيش الأمريكي هدم أو تسليم بنى تحتية شاسعة كان قد بناها في أفغانستان منذ عام 2001 إلى القوات الأفغانية، وذلك استعدادا لإنهاء عمليات الناتو القتالية رسميا بنهاية ذلك العام. سيطر الجيش الأفغاني بمقتضى ذلك على 225

قاعدة أمريكية سابقة، في حين سيطرت الشرطة على 118 قاعدة. وإجمالا، سلّمت الولايات المتحدة لأفغانستان ممتلكات عقارية بقيمة 900 مليون دولار، ودمّرت ممتلكات أخرى قيمتها 46 مليون دولار لأنها كانت حساسة للغاية أو كان من غير العملي نقلها. أكبر هدية قدمها الأمريكيون كانت قاعدة المارينز في هلماند وتقدر قيمتها ب 235 مليون دولار.

لقد ازدادت الحرب دموية بالنسبة للمدنيين والجنود الأفغان خلال عام 2014. إذ قتل أو أصيب أكثر من عشرة آلاف مدني أفغاني في ذلك العام، وهي أكبر حصيلة منذ أن بدأت الأمم المتحدة إحصاء أعداد الضحايا المدنيين هناك في عام 2009.

إفادات الضرر اللاحق بالضحية

بعد أن أقدم "عبد الصبور" على قتل "دارين لوفتيس" و "روبيرت مارشانتي" في وزارة الداخلية في فبراير 2012، حاول ضباط مخابرات أمريكيون وأفغان وضباط شرطة أفغان تعقبه، وقد أشارت عملية تعقب هاتفه الخليوي إلى وجوده في إيران. ومن بين الضباط الأفغان الذي اهتموا بتلك القضية كان الجنرال "محمد أيوب سلانجي"، وهو القائد السابق لشرطة كابول، الذي شغل بعد ترقيته منصب نائب وزير الداخلية. عمل "سلانجي" بشكل وثيق مع جنرالات ومدربي شرطة أمريكيين وأوربيين. كان سلانجي أفغانيا وطنيا وعارض بشكل منتظم وكالة المخابرات الباكستانية "أي أس أي"، متهما إياها بتقديم متفجرات من درجة عسكرية لحركة طالبان، وبإرسال عناصر كوماندوز متنكرة للقتال في أفغانستان.

لقد أتى سلانجي من منطقة "باروان" وهي المنطقة ذاتها التي أتى منها "عبد الصبور" (شمال كابول) لذلك مسّت تلك القضية شرفه الشخصي. وبالرغم من مرور أشهر وسنوات على القضية، إلا أن ذلك الجنرال حرص على أن يظل اسم "صبور" على قائمة المطلوبين. في وقت مبكر من عام 2016، عاد "صبور" إلى منطقة "باروان" بعد أن عاش في إيران لسنوات. وكانت مديرية الأمن الوطني أصدرت تعليمات لعملائها المحليين بضرورة إبلاغها في حال ظهور سلانجي. في النهاية، لم يكن تعقب "صبور" أمرا صعبا. ففي ذلك الشتاء، استضاف "صبور" جيرانه بشكل علني لعقد حلقة نقاش بشأن الإسلام. اعتقلته الشرطة في التاسع عشر من مارس بينما كان "يخطب لصالح أعداء أفغانستان" كما ذكر بيان لوزارة الداخلية.

خضع "صبور" للمحاكمة وقد ثبتت إدانته وحُكم عليه بالسجن مدة عشرين سنة. طعن "صبور" في الحكم لكنه خسر طعنه وتم تثبيت الحكم عليه.

خلال الأشهر السبعة بين مارس 2016 وافتتاح محاكمة "عبد الصبور"، قُتل ما يزيد على 4،500 ضابط شرطة وجيش أفغاني في الحرب ضد طالبان وتنظيم داعش، وجُرح ما يزيد على 8,500 آخرين. كانت الإصابات كبيرة لدرجة أن أعدادها فاقت أعداد المتطوعين الجدد. هدد متمردو طالبان عاصمة إقليم "قندوز" في الشمال ومدينة "لاشكركاه" عاصمة إقليم هلمند في الجنوب. لقد بقيت كل المدن الرئيسية في البلاد تحت سيطرة الحكومة، لكن الطرق والمناطق الريفية الواقعة بينها خضعت لسيطرة أو نفوذ مقاتلي طالبان. كان الوضع شبيها لوضع أفغانستان بعد مغادرة القوات السوفيتية عام 1989: مدن كبيرة يسيطر عليها الشيوعيون، في حين سيطر المجاهدون المدعومون من السي أي ايه على المناطق الريفية قبل أن يسيطروا على كابل عام 1992. يتراوح عدد مقاتلي داعش الذين يقاتلون حكومة الرئيس الأفغاني "أشرف غاني" بين ألف وثلاثة آلاف مقاتل، ويمثل هؤلاء نحو 10 بالمائة من مجموع المتمردين في أفغانستان.

في نهاية عام 2016، كان لايزال هناك 4800 جندي أمريكي متمركزين في أفغانستان. وكان ربع تلك القوات عبارة عن قوات مكافحة إرهاب منخرطة بشكل مباشر في عمليات قتالية ضد أي جماعة صنفتها الولايات المتحدة بأنها إرهابية. وفقا للبنتاغون، كان هناك ثلاث عشرة جماعة إرهابية أجنبية في أفغانستان. في حين بلغ عدد الجماعات الإرهابية الأجنبية في باكستان سبعة، ويشكل هذا العدد من الجماعات الإرهابية في الدولتين نحو خمس كل الجماعات الإرهابية حول العالم.

قدّر البنتاغون أن طالبان وتنظيم داعش سيطرا معا على نحو عشرة بالمائة من الأراضي الأفغانية. بينما تشير تقديرات السي أي ايه إلى سيطرتهما على أكثر من ثلث البلاد. في كلا الحالتين، كان واضحا أن أكثر من نصف سكان أفغانستان كانوا يعيشون تحت سيطرة الحكومة، وإن كانت تلك السيطرة مهزوزة. من جهة أخرى، هددت عصابات الخطف مدينة كابول وخطفت مواطنين غربيين من أجل الحصول على فدية، أو لبيعهم لشبكة "حقاني" في إقليم وزيرستان.

عاش الرئيس الأفغاني الأسبق حامد كرزاي في أغلب الأوقات في مجمّع سكني في كابول خلف جدران مرتفعة، بالقرب من القصر الرئاسي، وقد استقبل زائريه هناك. وتقول

الشائعات إنه يتدخل باستمرار في الوضع السياسي الأفغاني. ظهر كرزاي في مقابلات يتهم فيها الولايات المتحدة بتقويض سيادة أفغانستان، وشدد، كعادته، على أن الحرب في أفغانستان ما كان لها أن تستمر لولا باكستان وجهاز مخابراتها "أي أس أي". وقال كرزاي "نحن ضحايا".

بالنسبة لقادة وادي "بنجشير" الذين اجتمعوا في حديقة أحد المشافي في طاجيكستان في سبتمبر 2001، لمناقشة طريقة إدارة خبر اغتيال القائد أحمد شاه مسعود، كان العقد الذي أعقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر شاهدا على حدوث تغييرات جذرية، بالإضافة لكونه مربحا من الناحية المادية للكثيرين من قادة وادي "بنجشير". إذ أن كل مساعدي "أحمد شاه مسعود" تقريبا تولوا مناصب وزارية أو برلمانية خلال سنوات حكم "كرزاي".

فبعد تركه لمديرية الأمن الوطني الأفغانية، نظم القائد "آمر الله صالح" حركة شعبية تركّز على الشباب وعلى الوطنية، وفي عام 2017، عاد صالح للحكومة للإشراف على عملية إصلاح الأجهزة الأمنية الأفغانية. كما عيّن الرئيس "أشرف غاني" المهندس "عارف" حاكمًا لإقليم "بنشجير". أما المارشال "فيهم" فقد توفي بأزمة قلبية في التاسع من مارس 2014. وقامت عائلته ومؤيدوه ببناء مقبرة رخامية عظيمة له فوق تلة على الطريق الواصل بين كابول وبنشجير، وكانت تلك المقبرة تشبه نصبا تذكاريا لإمبراطور مغولي.

لقد كان قادة وادي "بنجشير" حلفاءً قادرين وموثوق بهم بالنسبة للأمريكيين، وقد خلق هذا فرصا تجارية عديدة لهؤلاء القادة في مجال تعاقدات الأمن والمواصلات واللوجستيات في الفترات التي زاد فيها الأمريكيون من عدد قواتهم في البلاد. إذ بنت عائلات وادي بنجشير التي استفادت من الحرب ومن عمليات إعادة الاعمار بيوتا صخرية جديدة ومزارع على طول ضفاف نهر بنجشير.

مع ذلك، شهدت القيادة السياسية والعسكرية لوادي بنجشير تشتتا منذ عام 2001. إذ أن خليفة "مسعود" الذي جرى انتخابه في حديقة المشفى المارشال" فهيم" قد مات بأزمة قلبية. كما أن أيا من مساعدي "مسعود" السابقين ليس لديه سلطة واسعة، بما في ذلك "آمر الله صالح" الذي يعتبره زملاؤه في وادي بنجشير شخصا انتهازيا يسعى لمصلحته فقط. بعد مرور خمس عشرة سنة على وفاة "أحمد شاه مسعود"، لم يتم الانتهاء حتى الآن من بناء ضريح ضخم له فوق قمة إحدى التلال خارج مسقط رأسه في

"بازارك". إن عدم اكتمال بناء الضريح هو شاهد على القيادة السيئة والفساد وسط مؤيديه. هناك أشخاص يتنافسون على تولي الجيل المقبل من القيادة السياسية والعسكرية لوادي بنجشير، وذلك في حال تطلّب الوضع في أفغانستان العودة إلى خوض حرب عصابات. هناك منافس محتمل لتولي هذا الدور وهو "آمر الله صالح".

هناك منافس آخر محتمل وهو "أحمد شاه مسعود" وهو الوريث الذكر الوحيد للقائد الراحل شاه مسعود. ونظرا إلى انشغال مسعود بالحرب ضد السوفييت، فقد تزوج متأخرا نسبيا في عام 1988 من أبنه قائد في وداي بنشجير. أنجبت زوجه مسعود بعد عام من زواجهما ولدا اسمه أحمد. وأنجبت بعد ذلك خمسة أطفال آخرين جميعهم من الإناث. حظى أحمد باهتمام شديد نظرًا لكونه الولد الوحيد في أسرة قائد عسكري شهير. وعندما زادت ضراوة الحرب في عام 1998، عندما قصفت طائرات طالبان أحيانا وادي بنجشير، نقل "مسعود" أسرته إلى طاجيكستان وإيران. كان أحمد يبلغ اثني عشر عاما عندما اغتالت القاعدة والده في سبتمبر 2001.

عملت والدته وأعمامه على إعداده لخلافة والده. بعد تخرجه من المدرسة الثانوية، فكّر "أحمد" في الالتحاق بأكاديمية "ويست بوينت" العسكرية، لكنه قرر بدلاً من ذلك أن يلتحق بأكاديمية "ساند هرست" العسكرية البريطانية، حتى يستطيع الجمع بين التدريب العسكري والدراسة الجامعية في كلية "كينجز كوليج" في لندن، المعروفة بقسمها الخاص بالدراسات الحربية. كتب أحمد أطروحة تساءل فيها عما إذا كان من الأفضل فهم طالبان باعتبارها شبكة إجرامية أو باعتبارها حركة عرقية-قومية أو عقائدية. (خلص أحمد إلى أن طالبان حركة إجرامية). حصل أحمد على درجة الماجستير من جامعة "سيتي" قبل أن يعود إلى أفغانستان عام 2016.

يبلغ أحمد مسعود الآن سبعة وعشرين عاما. وقد التقي في كابول بضابط من السي اي أيه. وقال له الضابط أثناء اللقاء "لقد ارتكبنا خطأين. أولاً، كان يجب علينا الاستماع لنصيحة والدك بشأن القاعدة. وثانيا، ما كان ينبغي علينا السماح لك بالدراسة في أكاديمية "ساند هرست" بدلاً من اكاديمية "ويست بونيت" أو أي جامعة أمريكية. كان أحمد مسعود يخطط لعمل في "مؤسسة مسعود" الخيرية لبعض الوقت قبل التفكير في الدخول في المجال السياسي الأفغاني.

يحمل أحمد شبهًا كبيرً من والده مسعود، لكنه لا يظهر اهتماما كبيرا بالحروب. لقد تعلم أحمد أساليب القيادة والعسكرية في أكاديمية "ساند هرست"، لكنه اكتشف أيضا أنه يكره الخيول. هو لا يريد أن يكون عبقريا في شؤون الحرب مثل والده، وإنما يرغب في استخدام نفوذ والده لتحسين وضع الديمقراطية في المستقبل في أفغانستان. ويضيف "أنا أرغب في نسيان الماضي، وأريد أن كون جزءًا من جيل من صنّاع السلام".

لكن مؤيدي والده يرغبون في أن يكون قائدا لهم خاصة مع تصاعد نفوذ حركة طالبان. عندما سقطت مدينة "قندوز" الشمالية لبرهة وجيزة في أيدي حركة طالبان في نهاية صيف عام 2015، سادت حالة من الفزع في الإقليم وفي كابول. كان أحمد حينها ما يزال يدرس في لندن. كانت الاتصالات تتوالى على هاتفه يوميا، إذ كان سكان "قندوز" يترجونه للعودة للوطن، ويسألونه "ما هي خطتك؟" و "ما هو هدفك؟ نحن احترمنا والدك، وسنتبعك".

يقول أحمد "لا أريد أن أخلق هالة حول نفسي" ويضيف "أريد لهذا الجيل أن يحمل رسالة ورؤية والدي". عندما كان والدي وزيرا للدفاع، في إشارة منه إلى تولي والده وزارة الدفاع في حكومة المجاهدين، قبل أن تسيطر طالبان على مدينة كابل عام 1996. "كان لديه حينها جيش وشبكة من القيادات. أنا لا أملك أيا من هذه الأشياء. لكنك لا تستطيع أن تقول هذا للناس الذين يعانون."

مازالت أفغانستان في حالة حرب. ومازالت طالبان عدوًا وحشيًا، كما أن هناك تهديدات جديدة ضد وادي بنشجير والبلاد، متمثلة في تنظيم داعش. يتساءل أحمد "ماذا سأفعل عندما يطرق الناس على بابي"